

الزواج المسيحي (*)

« فيصيران كلاهما جسداً واحداً »

(أف : ٣١:٥)

(تك : ٢٤:٢)

فلنبداً من البداية أي من قصّة الخلق :
« فأوقع الربّ الإله سبباً على آدم فنام ،
فاستلّ إحدى أضلاعه وسدّ مكانها بلحم .
وبنى الربّ الإله الضلع التي أخذها من آدم
امرأةً ، فأتى بها آدم . فقال آدم هذه المرأة
عظمت من عظامي ولحم من لحمي ، هذه
تسمى امرأةً لأنها من امرئٍ أخذت . ولذلك
يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران
كلاهما جسداً واحداً » (تك ٢: ٢١-٢٤).

وبعدها يُضيف :

« فخلق الله الإنسان على صورته . على

- ٥ - حديث ألقاه الأب افرام في الصوم الكبير في كاتدرائية القديس نيقولاوس في بيروت نهار الخميس في ٢٠٠٠/٤/٦
- ١ - أَلَّف القديس يوحنا الذهبي الفم كتاباً صدر مؤخراً باللغة العربية عنوانه « في البتولية » ، يتكلّم فيه القديس عن البتولية في الزواج أيضاً .

صورة الله خلقه ، ذكرًا وأنثى خلقهم » (تك ١: ٢٧).

هذا يشير إلى أنه منذ البدء ، منذ الخلق ، هناك تدبير إلهي يتضمن وجود اثنين : الذكر والأنثى ، الرجل والمرأة . ويشير في الوقت نفسه الى واحد « فيصيران جسدًا واحدًا » .

« وليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها » (١ كور ٧: ٢) . يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في هذا الموضوع : « سمح الله للرجل في البدء أن يتزوج أخته ، لا أخته بل ابنته ، لا ابنته ، بل لحمًا من لحمه الخاص » .

تفرّع الجنس البشري من إنسان واحد هو آدم ، وبعدها لم يسمح بالزواج من أخواتنا وبناتنا حتى لا تنحصر المحبة » .

■ الرباط الوثيق بين الرجل والمرأة

إذا هناك رباط وثيق بين الرجل والمرأة منذ البداية . الإلفة بين الرجل والمرأة تفوق كل إلفة ، والمحبة قوية ، لذلك جبلت المرأة من الرجل .

« هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي ، هذه تُسمى امرأة لأنها من امرئ أخذت ، ولذلك ... » (تك ٢: ٢٣) .

إذا انتقلنا الى العهد الجديد نسمع بولس الرسول يقول « ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعًا واحدًا في المسيح يسوع » (غلا ٣: ٢٨) .

لا يشير هذا الكلام الى اثنين ، بل الى « واحد في المسيح » كما يوحي بالمساواة بين الرجل والمرأة وعدم التفريق بينهما . هل هناك من تناقض مع سفر التكوين ١: ٢٧؟ أم هنالك كشف للعلاقة المتكاملة والمميّزة في المسيح^(٢)؟

يرفع بولس الرسول العلاقة بين الرجل والمرأة الى المستوى الروحي . الثنائي يصبح واحدًا في المسيح . الجسد الواحد هو جسد المسيح . اتحاد المرأة بالرجل علامة لاتحادهما الروحي في المسيح ، لأن المسيحيين وإن كانوا في الجسد إلا أنهم لا يتصرفون بحسب الجسد .

ماذا نستنتج من كل هذا؟

أولًا : أن العلاقة الحقة بين الرجل والمرأة ليست مجرد علاقة جسدية . هي في النهاية علاقة روحية لأنها اتحاد سرّي بالمسيح : يجمعهما المسيح في جسد واحد هو جسده ضمن تدبير الله منذ البدء وترتيبه ، هذا التدبير الذي كشف واضحًا في المسيح . كيف يصبح الاثنان واحدًا؟ ماذا يجعل

٢ - ما يميّز المسيحية عن كلّ الديانات والفلسفات الاخرى فيما يختص بعلاقة الرجل بالمرأة .

الاثنين يصيران واحدًا أو ثلاثة أو أكثر؟ إنها المحبة المتبادلة، المحبة المبذولة المضحية، المسيح الذي هو المحبة المصلوبة.

ثانياً: الشهوة الجنسية عابرة. طبقاً هي واردة خاصة في البدء. تجعل الميل الجنسي حتى لا يبقى الإنسان وحيداً، متفرّداً، أنانياً، وأيضاً من أجل الإنجاب لا من أجل التمتع فقط.

من هنا تفهمون كيف أن الراهب الذي اقترن بالمسيح (سرياً) يبقى بتولاً محافظاً على أمانته للمسيح، تماماً كما ان الزوج (الرجل والمرأة). يتحد بالمسيح ويبقى أميناً له.

طبقاً ما يعزز صلة الزوج بالمسيح هو الصلاة وقراءة الكتاب المقدس والمناولة وعمل الرحمة.

■ في الطاعة والمحبة

نأتي الآن الى نقطة مثارة دائماً في العلاقات بين الرجل والمرأة. يقول الرسول بولس:

«أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة» (أف ٥: ٢٢-٢٣).

ثم يضيف «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحبّ المسيح أيضاً الكنيسة وبذل نفسه من أجلها» (أف ٥: ٢٥).

قبل شرح العلاقات المتبادلة بين الرجل والمرأة من خلال كلام بولس، لا بدّ أولاً من أن نشير إلى أن المرأة في عصره لم تكن مساوية للرجل في الحقوق، لا في العالم اليوناني، ولا في العالم الروماني، ولا في العالم اليهودي.

هذا الوضع التاريخي يمكن أن يبرّر التعبير «القاسي» الذي جاء على لسان الرسول. لكن هذا الأخير لم يكن يعني العلاقة البشرية فحسب، بل العلاقة الروحية، لأنه يضيف «كما للرب»، ولأنه يقارن دائماً العلاقات المتبادلة بين الرجل والمرأة بعلاقة الكنيسة والمسيح. في هذه العلاقة الأخيرة، الطاعة تقابل المحبة، والمحبة تقابل الطاعة.

هذا القانون يسري على المرأة كما على الرجل. أي إن أطاعت المرأة الرجل تنال محبته، وإن أحبّ الرجل امرأته يستدعي طاعتها، والعكس بالعكس أيضاً.

هذا القانون يسري على العلاقات البشرية عامةً. يعتبر عنه بولس هنا بطاعة المرأة للرجل وبمحبّة الرجل للمرأة. هذا التعبير جاء هكذا ربّما

الإكليل، إكليل العروسين، هو إكليل
المجد، وهو في الوقت نفسه إكليل الشهادة
للمسيح. لذلك نرتل في خدمة الإكليل:
«أيها الرب إلهنا بالمجد والكرامة
كللّهما» (ثلاثاً)، كما نرتل ترتيلة
الشهداء: أيها الشهداء القديسون الذين
جاهدوا حسناً فتكلّلوا... هذا عند دورة
العروسين اللذين يمسك بيدهما الكاهن
الممثل بالمسيح ممسكاً بيده الأخرى
الإنجيل الذي به يرشدهما إلى الخلاص.

بداعي العوامل التاريخية أو بداعي التدبير
الإلهي منذ البدء.

على كلّ، تظهر في المسيحية المساواة
بين الرجل والمرأة أمام الله، والوحدة بينهما
في المسيح، وذلك على الرغم من وظائفهما
المختلفة والترتيب القائم في الأسرة حيث
يصعب وجود رأسين.

■ الخلاصة

الزواج المسيحي مدرسة للمحبة. هو
أيضاً تمرين على الطاعة المتبادلة بين الرجل
 والمرأة. ولكن في البدء وفي النهاية، الطاعة
والحبة هما للمسيح.